البـــاب الأول

ترجمة سيدي محمد البوزيدي

(توفي سيدي البوزيدي عام 1229 هجرية)

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري

في كتابه "الـطـبـــقـات":

(خـــالص خاصة صفوة خلاصة أرباب الشهود والعيان، وإنسان عين أعيان عيون قادة قدوة المتمسكين في الرسوخ والعيان، بحر جواهر لآلئ ياقوت المرجان، مـــن أعطى في وقته ما لم يعط أحد من الخيرات الحسان وعرائس أبكار حور العين الـــتي لم يطمـــثهن إنـــس ولا جان، من شرب كأس الحقيقة حتى خرج الري على أظفـــاره، ورأى ببصيرته ما فاض نوره على حدقة أشفاره، فأدرك بنور الحق ما لا يرى قط، وسمع ما لو سمعه شامخ الأطواد لدك وسقط، فرد الأولياء، وسيد أهل وقته بـــلا امتـــراء، مـــن بكت عليه السماء والأرض، وصاحب المقام الأسمى، والمرتبة العظمـــى، مـــن طلعت شمسه في أفق السماء، وأحيى الله به قلوباً غلفاً وعيوناً عمياً وآذانا صما، الحصن المانع الأحمى، وبمثل هذه وأحسن منها كان الشيخ[1] رضي الله عنه يترجمه بها، وهو سيدنا وعزنا وفخرنا وعنايتنا ونصرتنا ورفعتنا، وعطيته وهيـــبته وكـــرامته ومنـــته ورحمته التي ظهرت منا وإلينا وفينا وعلينا، وبدر طريقتنا وشمس ضـــحاها، وفلـــك حقيقتـــنا وقطب رحاها، ورئيس سفينتنا التي بسم الله مجراها ومرساها، وناشر لواء المعاني على من خلعت عليه وكساها، الواضح الآيات، البين العلامـــات، الـــساكر الصاحي الجامع، الفقيه الصوفي الكامل الواسع، الشيخ الجليل القـــدر، العظـــيم الشأن والخطر، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بوزيد الغمَاري

---

(1) أي الشيخ مولاي العربي الدرقاوي.

السَّلْمَاني الحَسَني، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنة النظر والمعارف مثواه.

كان رحمه الله قبل ملاقاته بأستاذنا شابا صغيرا قد حبب الله له الانقطاع إليه، والاعتماد عليه، ودوام الصيام والقيام سائحا في الخلوات زاهدا، ورعا عابدا مجتهدا، لا يـــأوي إلى العمارة، بلغ في مقامه هذا مبلغا عند الله عظيما، نشأ على ذلك منذ الـــصبا لأن والدتـــه رضي الله عنها كانت من الصالحات المتعبدات مأوى للعُـــبَّاد والـــزهاد يأتونها من بلد إلى بلد بقصد الزيارة والتبرك، فأخذه ذلك الحال، ورحله غاية الارتحال، فساح وجال بشاطئ بحر طنجة حرسها الله، فلما أراد الله به الكمال الحقيقـــي وســـلوك طريق الشهود والعيان ترقيًّا عن الدليل والبرهان ونفع العباد به وخدمـــة شيخنا وأولاده وعز طريق التصوف وأهله قيض له سبحانه وليًّا من أولياء الغـــيب فقال له اذهب إلى فاس فشيخك بها وهو فلان الفلاني إذ الطريق لا تسلك بدون شيخ فقدم إليها وهو لا يعرفها ولا يعرف أهلها ولا الشيخ الذي قصد فسأل عنه فدل عنه في الحين فلما قرع الباب عليه خرج ونظر إليه فأخذ بيده وأدخله على أولاده وقال ما مثلك من يقف بالباب وأنا أنتظرك منذ كذا وكذا، فلقن له بعد الورد اســـم الجلالة ألـــلـــه إذ هو اسم الله العظيم الأعظم وسلطان الأسماء لأنه علم على ذات واجـــب الوجوب وهو عينها والأسماء كلها للتخلق إلا هو فإنه للتعلق كما قال ســـيدنا أبـــو العباس المرسي رضي الله عنه، فأخذه عنه بشروطه فنجح وأفلح، فلا تـــسأل حينئذ عما أخفي لهم من قرة أعين من الخير والفضل والبركة والسر والنور والبهاء ورفعة القدر في الدنيا والآخرة.

قام بأولاد الشيخ والإخوان والأضياف أحسن قيام، وكفاهم أمرهم ومؤونتهم علـــى الدوام، علي المقام، مسموع الكلام، ظهرت لكل أحد فتوحاته، وانتشرت خللـــه وبيناته، أشرقت عليه شموس عظمة الذات، فغيبته عنه وعن جميع الكائنات، مصحوباً بالتأييد، مسلوكاً به طريق الكمال على التجريد والتفريد، لا يخرجه جمعه عن حد الاعتدال إلى الانحراف، كأهل الجمع الصرف وأرباب الاستشراف، وسمعته يقـــول في قـــول الشيخ الجليل سيدي محيي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله عنه (المشاهدة يتقدمها علم، والرؤية لا يتقدمها علم): هذا قاله بحق وقد وقع بنا فجأة

فغـــبت عـــني وعن كل شيء برؤيته على ما يليق به مع حفظ الشرائع، قال: وكُنَّا نجلس في بعض الأوقات بباب مدرسة العطارين والناس كما علمت من كل جانب كالـــسيل إذا سال بارك الله في أمة النبي صلى الله عليه وسلم ونحب أن نراهم فلا نـــراهم إلا كالتآبـــيب التي تكون في كورة الشمس لا وجود لهم ونقبض على ذاتي ونقرص عليها قرصا شديدا كي نؤلمها ويحصل لي بعض الشعور بذلك فلا نجد له ألمـــا ولم يـــدخل علي من ذلك سقمٌ والغير مفقود بالكلية كما هو في حقيقة الأمر والورْد الشرعي محفوظ علينا بتوفيق وتأييد من الله.

وسمعته يقول خرج بعض الأيام على باب الجيسة من فاس حرسها الله وصعد نحو القُبَابْ [1] وهو في سكر عظيم فلقيه رجل عظيم القدر بهي المنظر ليس عليه أثر سفر ولا يشبهه أحد من أهل المدينة ولا البادية ولا البَرابر فظنه سيدنا الخضر عليه الـــسلام فقال له أيحيط العارف، فأجابه سيدي محمد: وإن الله قد أحاط بكل شيء علما، ورده لحقيقة العارف إذ حقيقته الله، قال فتبسم وانصرف. وسمعته يقول سأله هـــو أو غيره من أولياء الغيب ما حقيقة العلم؟ قال له سيدي محمد: العمل فقال له ومـــا حقيقة العمل؟ فقال له: الحال قال وما حقيقة الحال؟ قال له: الخراب الذي أنا فـــيه، فأعجـــبه ذلك وتبسم وانصرف، وقد كان سيدي محمد على خراب كبير لا يطيقه إلا من وفقه القوي القدير.

وحاصل الأمر أقول الحق ومن نفسي أنصف، هو أعلى وأجل من وصفي الذي لـــه أصف، ولو جمعت ديواناً في سلوكه وجذبه، لم نف بغاياته وكنهه، وكيف وقد سمعـــت من الشيخ مراراً لا تحصى يقول سيدي محمد أكبر من الشيخ الجليل سيدي أبـــو العباس المرسي رضي الله عنهم، وسمعته مراراً يقول في حقه: هو الفرد والفرد أكـــبر من القطب في العلم بالله تعالى كما قاله الشيخ الحاتمي رضي الله عنه في مقام الفـــرد، وكان يقول لنا دائما في غيبته في حياته وبعد موته: سيدي محمد بوزيد هو

(1) القُبَابْ: مقبرة تقع خارج باب الفتوح، في مدينة فاس، في المغرب.

الفرد والفرد هو أكبر من القطب في العلم بالله تعالى، ودخل الشيخ عليه لخلوته التي بـــدار الشيخ وقال له: يا سيدي محمد منذ كذا وكذا – وذكر له مدة طويلة- وأنا أريد أن أخبرك بأمر قد أطلعني الله عليه والآن قد أذن لي في إعلامك به أنت الفرد والله على ما نقول وكيل والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى، ولسان الشيخ رضـــي الله عـــنه لسان الصدق والورع مالكٌ لأحواله لا يزيد ولا ينقص في جميع أعماله وأقواله وأحواله، قال عقدت عقدة الصدق في ابتداء أمري لا أزيد ولا أنقص ولـــو رأسي يزول فانعقدت بحول الله وامتزجت بدمي ولحمي ومن أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول فلا يزيد ولا ينقص ولو رأسه يزول، قال لي مراراً: إن أردت أن تكـــون أعلـــم العلماء كلهم فلا تترخص في المنطق ولا تزد ولا تنقص، وكفى بها شهادة من الشيخ لسيدي محمد.

وقرأ علينا يوماً من شرح ابن حجر على الهمزية وذكر فيه أمرا وقع بين سيدنا أبي بكر الصديق وبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وانتصار النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وظهور مرتبته التي لم يدركها أحد من أمته إلى أن قال لا تؤذوني في صاحبي أبي بكر لما قال الناس كذبت قال هو صدقت ووقاني بنفسه وأنفق علي ماله وزوَّجني بنته وكذا وكذا وعد من شمائله وحسن خلاله كثيرا وهو مؤدب الأمة وإن كان المقول له أفضل الناس بعد أبي بكر الخليفة الأعظم الفاروق المحترم لئلا يتعرض الفاضـــل للأفـــضل أو يتقدم الكامل على الأكمل، ويكون بذلك التأسي والعمل، فطـــوى الشيخ الكتاب رضي الله عنه وبكى بكاء وسالت عبرته على لحيته إذ كان رقيق القلب قريب الخشوع محبًّا في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه كلهم وآله وأزواجـــه وذريـــته والمؤمنين أجمعين يعظم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستحضره ويجله ويتزعزع ويتصدع ويقشعر ويخشع ويخضع وقال وهو في ذلك الحال: وأنا عبد الله العَرْبي الدرقاوي والله ما نفعني أحد ما نفعني سيدي محمد بوزيد ولا خـــدمني أحـــد مثله ولا وافقني أحد مثله ولا كذا ولا كذا وصار يذكر فضله وخـــصوصيته ويظهـــر مرتبته ومزيته وكلام هذا معناه في جم غفير وجمع كثير من الإخـــوان علماء وصلحاء وقرَّاء وأساتيذ وفقراء رضي الله عنهم أجمعين وربما كان

هناك من تحمله النفاسة لتقدمه عليه في الطريق وبلوغه مرتبة التحقيق.

وسمعت صاحب الترجمة يقول علم سيدنا الخضر في علم سيدنا موسى عليهما السلام الذي علمه في قوله أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار مما حكى الله عنه وغير ذلك مما كان قد هيأه له وأعده له لو صبر في قول النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك علم أويس القرني في علم سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك علم الفرد في علم القطب رضي الله عنهما، إنما هذه أمور خصوا بها ومزية، والمزية لا تقتضي التفضيل. قلت لا أدري هل هذه المسألة الثالثة كاللتين قبلها حقيقة أو قال ذلك تواضعا من حيث أطلق الشيخ عليه هذا الاسم وأراد تستر حاله وإظهار العبودية وكانت وصفه ولا يظهر عليه غيرها.

كان رحمه الله محبًّا للشيخ مرافقا له ومجاورا له وملازما لداره أكثر من داره هو، **يخدمه ويقضي مآربه ويحمل له من كل ما عنده ويقول له في كل مرة: يا سيدي كل ما ملكني الله فهو لك حتى روحي فهي لك ملكا، حتى كان هذا القول هو آخر قول قاله له قرب وفاته.**

قد خرج على يديه العدد الكثير من المريدين، فكان له بنون وحفدة وأبناء الحفدة، ويكفيك فيهم الأخوان العالمان الوليان العارفان المحققان الشريفان سيدي أحمد بن عجيبة وسيدي الهاشمي بن عجيبة وابن عميهما الأستاذ الجليل ولي الله سيدي أحمد بن عجيبة الصغير وسيدي عبد السلام القاضي وسيدي الحسن الكتامي وسيدي ابن يونس وسيدي أحمد بن قر وفقراء الرِّيف[1] والفَحْص[2] وغير ذلك نفعنا الله بجميعهم، وقد هدى الله بابني عجيبة خلقا كثيرا وجما غفيرا فأمرهما أشهر من نار على علم.

وكان يحض أصحابه وجميع من زاره واستنصحه من إخوانه في الله على خدمة

(1) الرِّيف: سلسلة جبلية في شمال المغرب.

(2) الفَحْص: السهل الممتد حتى جنوب مدينة طنجة.

شيخه والدءوب على ذلك ويقول: (لا يحسب أحد **التصوف** في كثرة الذكر أو في الانقطـــاع عن الخلق أو مطالعة كتب القوم أو الصمت أو الجوع أو القيام أو الصيام أو التجرد أو غير ذلك من النسك من هوى النفس من غير مؤدب، لا والله ما الأمر كذلك، **وإنما هو في ملازمة الشيخ وخدمـــته وسلب الإرادة إليه والأدب وترك الـــتدبير والاختيار معه وطرح النفس والروح بين يديه كالميت بين غاسله**). قد دخل من هذا الباب، فرآها أصلا لجميع مواهب الاكتساب، فكان يأتي على الدوام والاستمرار لدار الشيخ هو وجميع من ينتمي إليه ويخدم كالواحد منهم كل ما يحتاج الـــشيخ إليه سواء يعرفونه أم لا عزما وتوكلا على الله، لا يتأخر عن اللبن والقَرْمود والجِـــيْر والبناء وغير ذلك فأحرى عمل البادية.

ولا يعرف في حضرة الشيخ غيره ولا يباين علمه أو يظهر فهما يخالف فهمه، وقد رأيته مرارا يتذاكر مع الإخوان في معنى من المعاني الظاهرة أو الباطنة وحين يأتي الـــشيخ رضـــي الله عنه ويجلس يسأل في أي شيء تتذاكرون وكانت عادته كذلك فيخـــبرونه بالمسألة فيقول قولا يخالف قول سيدي محمد فيها، فيرجع إلى قـــول الـــشيخ في الحـــين في أول لفظ ظهر منه وينكر علمه وفهمه وذوقه ويتبرأ منه حتى يكـــون ذلـــك عجبا لمن يسمع ويرى، ولكن هو يعرف لأنه كان في حال جذبه بخلاف ذلك، ومن سلك طريق القوم علم مخاوفها.

ولا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وأهل مكة أدرى بشعابها.

وجمـــاع القول أن أمره عظيم، وخطره جسيم، لا يعرف شأنه وقدره، إلا من مارســـه ودخـــل ديره وميز ضيره وخيره وسار سيره. كان نادرة الزمان، وآية من آيات الرحمن، سكن من أرض المعارف ربوة ذات قرار ومعين، وفض ختام عرائس أبكار المعاني المخدرات الحور العين، وأقام على ذلك زمانا طويلا، وصدره أربابها واعتمدوه أخذا وتعويلا.

قـــد تـــرك من الأذواق ما لا يعد ولا يحصى، فلو جمعت رسائله ومنظوماته وواردات لأربت عن مجلدات عدة، وجد من ذلك أستاذنا الشريف قدر نصف القامة

نادرا أوراقا مفرقة مختلفة المعاني بحسب واردات الغيب لم يخرجها ولا ألفها وبوبها وجمعها لبعضها، إذ كان فيضه ربانيًّا لا يلتفت لما فات منه وخرج عنه، وبقي بأيدي الإخوان في كل بلدة من مذاكرته وحكمه ورسائله ومنظوماته ما فيه كفاية لا سيما كتابه المسمى بالآداب المرضية أجاد فيه ما شاء ومنظومته التائية في الخمرة الأزلية وسلوك طريق الصوفية التي مطلعها:

أيا من تجلى في بهاء جماله ... وسر كماله وعز ورفعة
تجليت بأسرار سرك ظاهرا ... وأخفيتها بعد الظهور لحكمة
وأبهمت أمرها على الخليقة جملة ... سوى عارف صفي من كل علة
له بالمعاني علم يدريها كيف ما ... تجلى بهاؤها على كل هيئة
محوت سواك عنه محواً مؤبدا ... وعاين حضرة المعاني القديمة
بأنوار علمها بدت لفؤاده ... وبضوء حالها رأتها السريرة
تنزلت الأسرار من بحر سرك ... فأجرى عليها منك حكم الكثافة
وبدا ظلال السر في الحس جهرة ... وهي التي كانت عليه أدلة
وصورة في الظهور طوت جميعه ... كما طوى سرها معاني الحقيقة
فسرها قد أحاط بالأشياء جملة ... وإن كان بالجسم الأشياء محيطة
فنقطة السر بحر والحرف برها ... ومن حرفها الحروف بدت لحكمة
وبالنقط والأشكال زادت تبينا ... لمن له علم بالمعاني القديمة

يشير بالحرف للرسول صلى الله عليه وسلم، وقال أيضا في رؤية القوم له بعد كلام في استمداد الخلق كلهم منه إيجاداً وإمداداً:

وخصوا بسره الخفي بين الورى ... وأعطاهم منه قرباً فوق الخليقة
ولا زالوا في ارتقاء نحو كماله ... حتى بدت صورة الحبيب البهية
كأن سواها في المظاهر لم يكن ... وهذه رتبة من أقصى الولاية
فلهم عينان للجمالين ناظرا ... فهذي لحالة وهذي لحالة

فـــواحدة تطـــوي الوجـــود بأسره وأخـــرى لـــه بالنشر في كل ساعة
فـــيا لـــه مـــن مقـــام ما أعلى أمره لـــبعض رجالـــنا مـــن أهل طريقة
وهـــذا علمي وفوق علمي علومهم فلـــم أدر ســـوى البعض منها لغفلة

وهي منظومة فيها ستة وستون بيتاً وثلاثمائة لها معانٍ كثيرة وفوائد غزيرة.

ونعرف له أيضا رائية جليلة فيها تسعة وعشرون بيتا مطلعها:

عليك بتقوى الله حيث توجهت وكن كريم الأخلاق في السر والجهر

قـــد شـــرحهما العالم الجليل القدر الصوفي المحقق أبو العباس سيدي أحمد بن عجيـــبة الحـــسني رضي الله عنه رأيت شرحه لهما ألبسه فيه وصفه وأبدى حقيقته ونعـــته، غـــير أنه **لا يعرف قانون الشعر ولا يلتفت إليه في منظوماته وأرجوزاته ويحب أن لا يبدل كلامه وكان يوصي شارحه بذلك غاية ويقول نحبه كما أتانا غيـــباً وهبـــيًا ليس للكسب فيه حظ كذلك يبقى ولا علينا في أحد، فمن طلب المعـــاني وجـــدها، ومـــن طلب الحروف والأوزان بقي معها**، جعلنا الله من أهل القلوب بمنه، وكلامه كله بيّن مفيد يعطي الحقيقة حقها، والشريعة حكمها، برزخا بين بحرين لا يبغيان، ساكرا صاحيا حاضرا غائبا الوصفان لديه سيان. قال لي بعض الأيـــام: الاقتداء لا يكون بغير الكامل الجامع وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلـــهم رضـــي الله عنهم أهل كمال فلذلك قال (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديـــتم) لكنهم متفاوتون فمنهم من سكر بالذات صاحي بالصفات، ومنهم من سكر بالصفات صاحي بها.

وقـــال لي مـــرة أشهدك الله على ما علمك الله هل وصفت أنا الخمرة الأزلية بقولي تنزلت الأسرار من بحر سرك "البيتين" أو إمام العشاق العارف بالله سيدي ابن الفارض رضي الله عنه في قوله:

يقولون لي صِفْـــها فأنت بوصفها خبـــير أجَلْ عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطـــف ولا هوا ونـــور ولا نار وروح ولا جـــسم

ففهمـــت منه أنه يقول لي ذهب ليصف فما وصف وذكر حال الحيرة وأجنح للتنزيه بمرة وهو رضي الله عنه أعطى للحق حقه وبين في الفتق رتقه ففهمه كل ذائق

وصدقه، وإن كان الشيخ الجليل سيدي ابن الفارض صاحب السر الفائض من كبار أهل هذا الشأن، وممن بسطت له في العرفان اليدان، عظيم القدر طويل الباع، تصغي إليه الآذان وتميل لكلامه النفوس والطباع، تغزل في الخمرة غزلا رقيقا، ودقق المعاني تدقـــيقا، ونوع الأساليب، وخالف التراكيب، وكنى وأبهم، ولوح وأشار لمن فهم، وإنما كلامنا معه في هذين البيتين حيث تبرع فيهما بأنه يصف وأنه له بأوصافها علم فأثبت وصفا ونفى آخر والله أعلم بمراده.

والحاصـــل خبره وسره بحر لا ساحل له، نفعنا الله برؤيته ومحبته، وقد قدمني للصلاة غير ما مرة، **كان متواضعا مع كل أحد، كريم المائدة، لا يملك مع الشيخ والإخـــوان شـــيئا**، وقد رأيت منه حين نكون عنده بداره كأننا والله أكابر الأولياء والصديقين، كل ما يأتي به يستقله في حقنا ويأتي بآخر، وهكذا كان مملوكا للشيخ هو وما معه وله وعنده لا يستقل دونه بشيء إلى أن مات رحمه الله تعالى ورضي عنه ليلة عاشر المحرم والله أعلم سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، ودفن بداره في البيت الذي توفي فيه بزاويته التي بتجساس على شاطئ البحر بقبيلة غمارة حرسها الله بمنه آمين وزادها الله شرفا به إلى يوم الدين. وسمعت من شيخنا رضي الله عنه مرارا يقول بعد موته أي سيدي محمد هو والله فرد الأولياء وسيد أهل وقته بلا امتراء وهو ممن بكت عليه السماء والأرض. وشمائله كثيرة نفعنا الله به آمين).

كلمتان لسيدي أبي بكر البناني

* قال سيدي أبو بكر البناني في كتابه " مدارج السلوك إلى مالك الملوك ":

(ويـــرحم الله فرد الوجود، ومفيض العلوم العرفانية على بواطن الفقراء وإمام أهل الجود، أبا عبد الله سيدي محمد البوزيدي الغماري)

* وقال (ولما كان المقصود من العلم هو الفناء في الله وكان التخلي عن افراد الكون وسيلة إلى ذلك صح للعارف بالله سيدي محمد البوزيدي أن يقول في جوابه للخضر عليه السلام وقد سأله عن حقيقة العلم فقال له العمل قال وما حقيقة العمل قال الحال قال وما حقيقة الحال قال الخراب الذي تراني فيه وكان مخرب الظاهر فسلم له وذهب).

[أخذ سيدي أبو بكر البناني الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن شيخه سيدي عبد الواحد الدباغ، عن شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي].

قال سيدي أحمد بن عجيبة في مقدمة شرحه لتائية شيخه سيدي محمد البوزيدي:

فهـذا شـرح لطـيف متوسـط على **قصيدة شيخنا** العارف الرباني، الفرد الصمداني، سيدي محمد البوزيدي الحسني، مضمنها شرح الخمرة الأزلية وما يوصل إليها من آداب العبودية، وهي **من بحر الطويل غير أنها مكسورة ملحونة لأن ناظمها أمي في صناعة العربية والميزان، لم يعرف مبتدأ ولا خبرا ولا فاعلا ولا مفعولا قال ما جلست قط مجلس علم، فما عنده إلا علم لدني**، والمقصود من الكلام اقتطاف المعاني لا زخرف الأواني، إلا أنه إذا حسنت الأواني والمعاني قبله العام والخاص، وإذا حسنت المعاني دون الأواني قبله الخاص دون العام، وإذا لم يحسن الأواني ولا المعاني لم يقبلها خاص ولا عام، ولنقدم بين يدي الكلام التعريف بالناظم فنقول والله المستعان: هو شيخنا الإمام العارف الرباني قدوة السالكين ومنار الواصلين سيدي محمد بن أحمد البوزيدي السلماني الشريف الحسني. أخذ أولا في تجويد القرآن ثم تجرد للسياحة والعبادة سنين فلقي بعض الصالحين فقال له حاجتك بفاس عند مولاي العربي الدرقاوي، فقصده وأخذ عنه وبقي في خدمته وتحت تربيته نحو ستّ عشرة سنة ثم أطلقه من الحجر وأمره بالتربية وشهد له بالخلافة، وقد سمعت منه مراراً يقول: هو خليفتي حيًّا وميتاً، وكتب رسالة في شأنه ينوه بقدره ويحض على تعظيمه ومعرفة قدره..... وكتب أيضا رسالة أخرى في شأنه.....وله أيضا رسالة أخرى قال في أولها بعد الحمد لله والتصلية: اعلم يا أخي أن الله قد أعطاك عطاء كبيرا، فقهك في طريق أوليائه، وجعلك من ورثة أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين فاشكره - إلى أن قال في آخرها- وقد أحببنا بحب الله سيدي محمد بوزيدي أن يتهيأ لزيارة والدته وأهله وأن يكون على بصيرة في القدوم على أهله ليقيم بها يذكر عباد الله، والله يا سيدي محمد بن أحمد ما علمت حاجة بقيت لك عندي ولا عند غيري ولنا عندك حوائج، بارك الله فيك وفي حوائجك إلى يوم القيامة، وقال في وسطها: واعلم يا سيدي أن الله علمك علماً لدنيًّا إلى يوم القيامة وعلّم أولادك وأحبابك وأهل وقتك على يدك وعلى يد أولادك وأولادهم وأولاد أولادهم إلى يوم القيامة. انتهى المقصود منها. ولقد شهد له بالفردانية فقال:

مقـــام سيدي محمد بوزيد مقام الأفراد، والفرد أكمل من القطب في العلم بالله كما لابن عربي الحاتمي، هكذا سمعته من شيخه في بني زروال. وله كرامات تركنا ذكرها خـــشية الإطالـــة مع أن طريق المحققين لا يلتفتون إلى الكرامات الحسية إنما المعتبر عندهم الكرامات المعنوية كتحقيق المشاهدة وتمام الاستقامة كما قال الشاذلي رضي الله عـــنهم أجمعـــين، ولقد كنت قلت في مدحه أبياتا حين قدم من بر النصارى في تـــشييع ولد السلطان سلامة، ومر عليه هول كبير في البحر ثم سلمه الله، فلما قدم ذهبنا للقائه فأنشدت في الطريق هذه الأبيات:

بـــشرى لـــنا والهـــنا بضوء نجم دنا مـــن بعـــد ليل دجا في ظلمة الليالي
فهـــذا فجـــر طلـــعْ والنور منه سطعْ والـــسر مـــنه نـــبعْ يـــا منية الأمل
من شيخنا البوزيدي من نسل طه الهادي يـــسقي ذوي الرُّشْد من خمرة الأزل
يا فوز من قد وفا من بحر عذب صفا فكـــم علـــيلاً شفا من خمرة الزلل
فلـــذ بـــه إن سمـــا بـــك المقام إلى صـــفو الـــشراب بلا مزج ولا دخل

قال سيدي محمد البوزيدي نفعنا الله ببركاته في كتابه "الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية" :

* وقد مَنَّ الله علينا في حال صغرنا بالتعظيم لأهل النسبة والنية الصالحة ففتح الله علينا فتحاً كبيرا لله الحمد وله المنة، ومن أعظم هذا الفتح أن ألقانا الله بشيخ كامل قلَّ في الزمان الذي فات مثله ونلنا منه الحظ الأوفر والسر الأكبر.

* ولما لقيت شيخنا الإمام الهمام، العارف بالملك العلام، سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الشريف المنيف الدرقاوي الحسني رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين بحضرة فاس حرسها الله من كل بأس عام ستة وتسعين ومائة وألف، وقد أخبرني بفضل الله قبل قدومي عليه رضي الله عنه، والسبب في ذلك أنه كان هناك مع إخوان له في شيخه[1] فانحرفوا عنه بعد موت الشـــيخ وادعى كل واحد منهم بالدعاوي الكثيرة ومن جملة الدعاوي أن جعلوا الشيـــوخ منهم على وفق نفوسهم، وكان شيخنا رضي

(1) أي الشيخ سيدي علي العمراني الجمل.

الله عنه ينصحهم ويذكرهم ويجلس لهم مع الباب الذي ينزلون فيها البْلاَغِي[1]، وكانوا لطف الله بنا وبهم لا يقبلون منه المشيخة إلا أن كلامه كانوا يقرونه كثيرا لأن الحق لا يرده أحد، ولكن لما غلب الحسد على قلوبهم كانوا لا يسمعون منه شيئا بقلوبهم، ولو سمعوا بالقلوب لانقادوا إلى حضرة علام الغيوب قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: 36]، فلما أيس من هدايتهم خرج يوما بنية أن لا يعود أبدا إليهم فبينما هو مار في بعض أزقة المدينة المذكورة وهو يقول في نفسه هذا المريض الذي بين يدي عالجته بكل العلاج إن كان للموت يموت وإن كان للحياة يحيى وقد تعذر من يصحبني في هذا الفن يا رب، قال رضي الله عنه فإذا بالنداء من قبل الله تعالى يقول سيأتونك أهل هذا الطريق من البحار ويخلقون لك من الحجار، فما بقي بعد هذا إلا أياما قلائل وأنا عبد الله قدمت عليه بإذن ولي من أولياء الله تعالى وذلك بعد أن تعلق قلبي بملاقاة القطب الكبير وكنت أطلبه في كل سجدة إلا نادرا وكنت والحمد لله مشتغلا بذكر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تاليا لكتاب الله عز وجل معتزلا بنفسي في الخلا مصليًّا قائماً وصائماً وكان ذلك الولي يحبني غاية المحبة وكنت لا أرضاه شيخا فلما رآني تعلقت همتي بغيره وأردت المسير إلى مكة لكون الناس يقولون القطب الكبير هو بها أبدا فلما علم مني هذا الولي ذلك قال يا أخي هو بفاس عليك به وهو فلان الفلاني، فقصدته في الحين مسرعا فوصلت لفاس وسألت عنه فلم نجد له خبرا فلم أزل أفتش وأسأل عنه حتى وصلت إلى باب داره ونقرت الباب وخرج إلي رضي الله عنه مسرعا فقبلت يده الكريمة وطرفه الشريف، فقال لي من أين جئت، قلت له يا سيدي من البحر، فقال من أين من البحر، فقلت من جبل أشقر، **فقال ما تريد عندنا، فقلت أردت أن أكون ببـــركاتك من ملوك الآخرة،فقال أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة**، فدخل مسرعا للدار وقال لي ادخـــل فإن مثلك لا يترك خارج الدار، فأدخلني ورحب بي **وأجلسني على سجادته التي كان يقعد عليها في خلوته** فأطعمني وسقاني وجعل يحدثني ويوصيني، فمن جملة ما أوصاني به رضي الله عنه أن

---

(1) البْلاَغِي: أي الأحذية التقليدية المغربية.

قال لي يا ولدي احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس المتصوفة الجاهلين والقراء المداهنين والجبابرة الغافلين، فما صحبت أحدا من هذه الثلاث إلى الآن والحمد لله رب العالمين.....وكان لا يعرفنا أحد في ذلك الوقت غير بعض إخوان قليلين من أهل فاس كانوا يعرفون شيخه وكانوا يجتمعون معنا بالنهار وبالليل يذهبون إلى ديارهم، **وكنت في الزاوية وحدي أياما عديدة ففتح الله بعد ذلك في الإخوان والأحبة**، وكنا في ذلك الوقت متصلين الذكر والمذاكرة وكنا لا نعرف الليل من النهار إلا بالآذان في الصومعات.....وكان يدلني على السخاء وحسن الخلق والزهد أكثر من كل شيء، وكان يقول لي رضي الله عنه: يا ولدي الرجل هو الذي يشمته[1] الناسُ كلهم اختيارا عن طيب نفسه وهو يفرح لذلك، والشَّمَّاتَة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم، لأن الرجال عملهم مع الله تعالى، والشْمَايْتْ[2] عملهم مع نفوسهم. وكان رضي الله عنه يحبني أشد من حبه لأهله وأولاده، وكان رضي الله عنه يقول والله واحد ما شد لنا أكتافنا في الله مثل محمد بن أحمد البوزيدي، وبالجملة مدحه لنا كثير بقدر ذمنا وقبحنا وأكثر وأكثر والسلام.

* وأكثـــر ما يقع الحسد الكبير في هذه الطائفة بعضها لبعض، نجانا وإخواننا من الحـــسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال ذو النون رضي الله عنه والله أعلم أو غيره (شهادة الفقراء تجوز على سائر الناس ولا تجوز علـــى بعـــضهم بعضا لأني وجدتهم حسادا) وهذا ظاهر.كنت والله أظن أن الفقراء لا يحـــسدون بعضهم بعضا فلما اجتمعنا معهم بفاس وغيرها أصابنا لطف الله بنا وبهم ما أصـــابنا فكنا تارة بتارة، لأن عداوة الجنس أصعب من كل شيء، كما أن مـــحبة الجنس أيضا أصعب كل شيء.

وكان شيخي رضي الله عنه يجلسني على سجادته وفي موضعه، وكان كثيرا مـــا يقـــدمني للإمامة وقت الصلاة، وكان رضي الله عنه يأتيني لموضع كنت فيه ويتذاكر معي مذاكرة رقيقة، **وكان رضي الله عنه إذا رأى مني وصفا مذموما نهاني**

---

(1) شمت: أي غدر به أو غبنه أو سخره بلا مقابل.

(2) الشْمَايْتْ: أي الشُّمَّات، والشُّمَّات جَمْعُ شامِت.

عن ذلك نهيا كليًا ويقول: الكبير لا يناسبه إلا الكبير، وكان يقول لي والله ما أنا شاك في ذوقك، وكان يقول رضي الله عنه: والله ما أنت عندنا إلا فوق ما نظن، وكنت جالسا ذات يوم في خلوة لي مع بعض الفقراء فدخل وقال: فبالله الذي لا إلـــه إلا هو ما يدخل ذراعك سيدي أبو العباس المرسي ولا سيدي أحمد زروق ولا أضـــرابهما رضي الله عنه وعنهم وقال إلا أنك حامل لدبلة الفقراء وكان كذلك فذهبت مني تلك العلة في الحين، وكان يقول لي رضي الله عنه إذا جاءك من تذكره ذكـــره الله وأما من فر منك فالماء والشطابة [1] حتى للبحر، وكان يقول لي رضي الله عنه أنت ميموني وأنا ميمونك، ووجدني يوما في حوز فاس عند بعض الإخوان من أولاد جامع وكان هناك رجل من أهل محبتنا حقًا وكان من الصالحين وكان اسمه أبا الشتاء فدخل علي الشيخ رضي الله عنه وكنت مريضا ببصري كاد نورهما يذهب بالكلية وكنت راضيا بذلك فلما دخل قال رضي الله عنه لبعض الفقراء كانوا معنا هـــناك: مـــن أراد أن ينظر وجه أبينا آدم الأكبر فلينظر وجه محمد بن أحـــمد الـــبوزيدي، وكنت في المائة الثالثة عشر من الهجرة في عام خمسة عشر منها نبني له عيـــنا بزاويته الشريفة عمرها الله بالسر والولاية الكبيرة إلى يوم القيامة آمين قال يا ولـــدي مولانا عبد السلام[2] هو الحج الأصغر، قلت له نعم يا سيدي، فقال لي وأنت أيضا حج الأصغر مثله. وكتب كتاباً لبعض إخواننا حيث رأى منهم الإنكار علينا والحسد الكبير لنا فكتب لهم كتاباً وهو يقول فيه مـــحمد بن أحمد خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغماً على أنفنا، فما زادهم ذلك إلا حسداً إلا بعـــض الأحـــباء وقليل ما هم، وهذا لا يستغرب منه إذ ما من نعمة إلا وعليها الحساد، وحساد هذه الطريقة أكثر من سائر الطرق لأنها طريق الإرث، ولما طال الحال رجعوا والحمد لله عن ذلك إلا النادر فالله يأخذ بيدنا وبيدهم.

---

(1) الشطَّابَة: أي المكنسة.

(2) أي مولاي عبد السلام بن مشيش، الذي هو شيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي.